المحاضرة الثانية

الحركات الاجتماعية: الأهمية ، النشأة، التصنيفات

أولا: أهمية الدراسة السوسيولوجية

بعد معالجتنا لمفهوم الحركات الاجتماعية بات من الأيسر علينا الحديث عن أهمية دراستها من الناحية السوسيولوجية ، فما الذي يدفع عالم الاجتماع للانشغال بتقصيها؟ من دون شك هناك العديد من العوامل التي تجعلها مهمة لكل سوسيولوجي ، نكتفي بتقديم ثلاث منها كما أوردها عالم الاجتماع الأمريكي Nick Crossley .

1-1 كثافة الحضور في العالم الاجتماعي

باتت الحركات الاجتماعية منتشرة في حياة المجتمعات المعاصرة فمن الناذر أن نفتح جريدة أو تلفيزيونا أو شبكة الانترنت من دون أن نقرأ أو نسمع أو نشاهد أفعال جماعية احتجاجية في مكان ما من هذا العالم. إن هذا الانتشار والحضور إن عبر عن شيء فإنما يعبر عن حقيقة كونها عنصر أساسي في الواقع الاجتماعي وعليه لا يمكن لعالم الاجتماع أن يهمل و يتجاهل بحثها بنفس القدر الذي لا يمكنه فيه التغافل عن دراسة العائلة ، أو الأحزاب السياسية، أو الـــدولة ذات الكثافة و الحضور القويين في حيتنا الاجتماعية.

إن العائلة كظاهر اجتماعية موجودة بحيث تملأ الواقع الاجتماعي الذي نعيش فيه ، ونحن نراها كل يوم ، نتفاعل معها كل يوم ، نقضي الساعات الطوال ضمن أطره، وقد تبدو لنا مألوفة و بديهية، ولكن عندما نحلل دورها الاجتماعي سوف نكتشف الكثير من الوظائف التي لولاها ما كان للحياة الاجتماعية أن تكون ممكنة. وهكذا ما أصبحت عليه الحركات الاجتماعية بالنسبة للدول المتقدمة ، إنها موجود على الدوام بحيث باتت تحتل المشهد ، و إذا ما حللنا كثافة الحضور هذه، سوف نكتشف العديد من الأدوار التي باتت تلعبها في الحياة الاجتماعية لهذه المجتمعات خصوصا في المجال السياسي.

2-1 المساهمة في التغيير الاجتماعي

علاوة على ما سبق تلعب الحركات الاجتماعية دورا كبيرا في عملية التغير الاجتماعي، إنها تقوم حسب Nick Crossley بأشكلة **«problématisation»** الطرق التي نعيش بها **وتدعوا إلى تغيير الأساليب التفكير والفعل والتأويل التي تعودنا عليها.**

تولد الحركات الاجتماعية سلسلة من الأحداث التي لا يمكن توقعها أو التحكم فيها وفي بعض الأحيان تخلق ردود فعل واستجابات أخرى غير متوقعة، والكثير من خصائص المجتمعات السياسية والثقافية والاجتماعية التي نعيش فيها الآن كانت من صنع الحركات الاجتماعية، ولتزال كذلك : إن الحق في العمل النقابي ، و العطل المدفوعة الأجر، التأمين الصحي، والاستفادة من التقاعد من نتائج نضال الحركة العمالية انطلاقا القرن الثامن العشر.

وبهذا في وسعنا اعتبارها كما ذهب إلى ذلك **Hank Johnston** أحد مفاتيح التغيير الاجتماعي في العالم الحديث، حتى وإن كان غير نابع في كليته منها. ومن هذا المنطلق هي مهمة بالنسبة لعلم الاجتماع الذي ظهر بالأساس كمحاولة للإجابة عن سؤالين مهمين : ما الذي يخلق استقرار المجتمع؟ وما الذي يخلق تحوله؟ إن البحث في الحركات الاجتماعية في أسبابها و انعكاساتها على المجتمع يعطي شطرا من إجابة الســـــؤال الثاني.

3-1 الكشف عن طبيعة العلاقات الاجتماعية

حسب Nick Crossley هناك وجه آخر لموضوع التغير بالنسبة للحركات الاجتماعية، فسؤال التغيير وخاصة التغيير بواسطة الحركات السياسية ، سؤال حول شكل توزيع القوة في المجتمع وحدود الديمقراطية الموجودة فيه. تعد الحركات الاجتماعية في هذا **السياق تجارب طبيعية في القوة، الشرعية، والديمقراطية. كما أن وجودها نجاحها، فشلها وبشكل أعم ديناميكياتها حتى وإن كانت صعبة القراءة والتفسير تسمح لنا بقياس عمل البنى الاجتماعية الأوسع للمجتمع وهذا هو السبب الثالث الذي يجعلها مهمة بالنسبة لعالم الاجتماع.**

إن الحركات الاجتماعية مؤشر على طبيعة العلاقات الاجتماعية بين مختلف فاعلي المجتمع ، وظهورها يعني وجود نزاع أو صراع إرادات ، أهداف و برامج بين شرائح أو جماعات أو أطراف حول طبيعة الحياة الاجتماعية سواء في كليتها أو في جوانب منها ، وهذا ما يجعلها كما أشار إلى ذلك **نيك كروسلي** تجارب طبيعة في القوة و الشرعية و الديمقراطية وتعبيرا عن عمل البنى التي تنتج لنا ديناميكية مجتمع من المجتمعات في فترة زمنية معينة.

ثانيا: النشأة التاريخية

يقدم تشارلز تلي مقاربة سوسيو-تاريخية مهمة حول ظهور الحركات الاجتماعية، وهي وإن كانت تحمل عدد من الإشكالات النظرية وبعض أوجه النقص، تبقى مع ذلك مفيدة لنا كونها تساعدنا على تكوين فهم أكثر عمقا لنشوء هذه الظاهرة الاجتماعية التي لها ظروفها التاريخية، ومن تم سياقها الاجتماعي التاريخي الخاص الذي ولدها، وفي الحقيقة تستند مقارب تلي على ثلاث خطوات منهجية :

1. رصد ظهوره تاريخ ظهور الحركات الاجتماعية عبر استقراء حالات النزاع الجماعي المستجيبة لتركيبة خصائص الحركات الاجتماعية الحديثة، أي الحملة ، والذخيرة وفي النهاية القاعدة الاجتماعية لها.
2. عرض السياق التاريخي الذي ساهم بتفاعلاته المختلفة في تهيئة الظروف المناسبة لاجتماع هذه العناصر الثلاث.
3. تتبع تطوره إلى أن أصبحت جزءا لا يتجزأ من الحياة السياسية لعصرنا الحالـــي.

إن تلي يدمجنا في عرض تاريخي تفاعلي مكثف ومتشعب يمتد على مدى أربعة قرون، و نظرا لعدم امتلاكنا الحيز الكافي وجب التنبيه إلى أن تقديمنا له سيركز بشكل مختصر على القرن الثامن العشر و التاسع عشر تاركين للقارئ مهمة العودة لمرجعه الرئيس في الموضوع **(الحركات الاجتماعية 1768-2004).**

كانت البداية حسب تلي في بريطانيا ثم أمريكا في نهاية القرن الثامن عشر، لماذا هذا الزمكان ، لإن شروط تعريف الحركة الاجتماعية لم تظهر حسبه إلا فيه . إننا سنشهد في هذه المرحلة بروز شكل جديد من المنازعة السياسية ، وذلك بحكم حملها لخاصيتين مختلفيتن تماما عن نظيرتها التقليدية:

1. فمن جهة سنشهد ابتعادا عن المظاهر المؤقتة والعابرة والعاطفية العنيفة التي كانت تميز النزعات الجماعية التقليدية لصالح فعل جماعي أكثر تنظيما ، وديمومة ؛
2. ومن جهة ثانية سنرى فعلا جماعيا يسعى لتاثير على السياسية خارج نظام الممارسات التقليدي الذي كان يصنعها.

ولم تكن التركيبة المبكرة للحركات الاجتماعية في كل من بريطانيا وأمريكا لتظهر من دون سياق سياسي واقتصادي و اجتماعي شجعها، وإذا أردنا أن نوجز أهم مميزاته، لن نجد وفق تشارلز تلي أدق من أربعة كلمات : الحرب الحركة البرلمانية، الراسملة والبلوريتارية.

سيؤدي تفاعل هذه العوامل التاريخية الأربع إلى اضعاف السلطة السياسية الحاكمة في بريطانيا في ذلك الوقت فاتحة الباب و مغرية لشرائح المجتمع للاحتجاج الجماعي خارج الأطر التقليدية المعروفة التي كانت تفرضها هذه السلطة لتسوية النزاعات .

هكذا أدت حرب السبع سنوات لزيادة سلطة البرلمان امام سلطة مشكلة بذلك فرصة مغرية لفاعلين آخرين لضغط عبره لتسوية مشاكلها و مطلبها ، وهكذا أدى تنامي قوة البرجوازية الرأسمالية والطبقة العمالية إلى إضعاف التحالفات القديمة الضابطة هي كذلك للمنازعات السياسية محفزة هي أيضا على الفعل الاحتجاجي الجماعي و ترسيخ الحركة الاجتماعية كأداة حديثة لنقل الانشغالات و المطالب لسلطات القائمة.

ثالثا: تصنيفات الحركات الاجتماعية

تشكل تصنيفات الحركات الاجتماعية أحد الأدوات التي يلجأ لها علماء الاجتماع لضبط التنوع الموجود على مستوى واقع الفعل الجماعي الذي تعكسه هذه الظواهر، وهي تسهم بذلك في وضع إطار علمي دقيق وموضوعي نسبيا لوصفها كما أنها تتيح للباحث فيها التعرف على خصائصها التي تسهل فيما بعد طرح الأسئلة عليها ، و الأدبيات التي ساهمت في دراستها ...الخ.

لقد قدمت للحركات الاجتماعية تصنيفات مختلفة ، وسبب ذلك راجع لتباين المعايير التي يستند إليها كل باحث في تحديد أنواعها، فإذا كان البعض يعتمد على هويات الأشخاص المشكلين لهذه الحركات(حركات نسوية،حركات عمالية ...الخ) هناك من جهة ثانية من يميز بينها من منطلق طبيعة الأهداف التي تسعى إليها (راديكالية ، إصلاحية ...الخ) وذلك في الوقت الذي يلجا فيه آخرون للفضاء الجغرافي الذي تنتمي إليه هذه الحركات أو الفترة الزمنية التي تمثلها (حركات محلية، حركات وطنية ، حركة دولية ، حركات قديمة ، حركات جديدة...الخ).

قدم عالم الاجتماع الأمريكي Lewis M. Killian تصنيفًا آخر يعتمد على اتجاه التغيير الذي تدعو إليه أو تعارضه الحركة الاجتماعية . إن السؤال عن الاتجاه يعطينا صنفين من الحركات الاجتماعية:

- الحركات الرجعية: تدعو الحركة الرجعية إلى استعادة الحالة الاجتماعية السابقة، وبتالي هي الأفعال الجماعية التي تقاوم التحولات أو التغيرات التي تحدث داخل المجتمع و التي تحكم عليها في بعض الأحيان بأن شكل من الانحراف الثقافي أو القيمي أو التخلي عن المبادئ .
- الحركة التقدمية: وهي تدعوا إل السير نحو وضع اجتماعي جديد يعد تقدميا بالنسبة لسابقه ، ويتالي هي أفعال جماعية تحديثية بالنسبة لما عهده المجتمع.

على أن من التصنيفات المبكرة لأنواع الحركات الاجتماعية ، و أكثرها نفوذا في أدبياتها تصنيف عالم الأنثربولوجيا **David F. Aberle** و الذي يمكن تصنيف الحرات الاجتماعية حسبه بموجب معيارين أساسين :

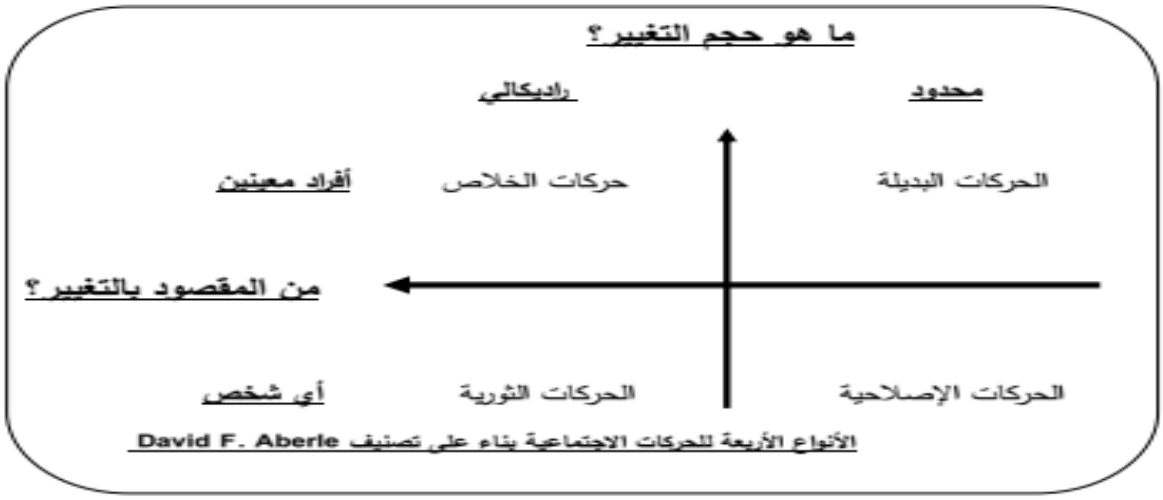

- أولا معيار الجهة المستهدفة بالتغيير : وبصيغة السؤال من تحاول الحركة تغييره (الأفراد أو المجتمع ككل)؟
- ثانيا معيار حجم التغير المستهدف (جزئي أو كلي)، وبصيغة السؤال ما مقدار التغيير الذي تدعو إليه؟

و بالإجابة عن السؤالين السابقين فإننا نحصل وفق دفيد ابريلي على التصنيف الرباعي التالي لأنواع الحركات الاجتماعية:

1. **حركات الخلاص Redemptive Movements :** ويتميز التغيير الذي تسعى إليه بطابعه الكلي ولكنها تستهدف في المقابل فئة محددة من الناس، وعليه هي تنشد تغيير راديكالي في حياة الأفراد ولكنها تتميز من جهة ثانية بتوجهها إلى أشخاص معينين وليس لكل النـــــــــاس. إن حركات محاربة الإدماج على المخدرات تمثل مثالا على ذلك ، فهي ترمي إلى تغيير كل في سلوك المدمن بحيث يقلع تماما عنها في حين تستهدف فئة محددة وهي المدمنين على المخدرات.
2. **الحركات البديلة Alternative Movements :** على خلاف حركات الخلاص تطالب الحركات البديلة بتحقيق تغيير جزئي ولكنها تتشارك معها في استهدافها لفئة محددة من الناس ، مثل حركة الأمهات لمنع القيادة أثناء حالة السكر.
3. **الحركات الثورية Transformative Movements :** وتعمل من أجل التغيير الهيكلي الكامل للمجتمع ، وذلك على غرار الحركات التحررية الثورية أو بعض الجماعات الدينية التي تنشد نموذجا مثاليا شاملا للمجتمع، كما أنه تستهدف كل الناس و ليس طائفة منهم فقط.
4. **الحركات الإصلاحية Reformative Movements:** على عكس الحركة الثورية ترمي الحركات الإصلاحية إلى إحداث تغيير اجتماعي جزئي ، ولكنها تستهدف كذلك كل الناس و ذلك على غرار الحركات التي تسعى إلى إصلاح جوانب من نظم التعليم في الوقت الذي تدعوا إلى ان يستفيد الجميع من هذه الإصلاحات.

قبل نختم حديثنا عن تصنيف الحركات الاجتماعية ، لبد من الإشارة إلى أن تقديم تصنيف شامل لكل الحركات الاجتماعية مهمة صعبة، إن كل تصنيف اختزالي الطابع في مقابل التنوع الأمبريقي و المعقد لهـــذه الظـــواهر الاجتماعية . فقد نجد حركة اجتماعية تشمل طيفا متنوعا من المطالب بن الإصلاحية و الثورية وبهذا هي لا تجد مكانا ضمن تصنيف دفيد أبريلي.